إصدارات قرآنية جديدة :

كتاب

((وعي القرآن الميسّر))

(الفهم الحيوي للقرآن)

تأليف

الباحث القرآني السيد مكي قاسم الغداري

عرض وتعريف
السيـــــد علي الرضوي
بغداد - جمهورية العراق

كتاب من مجلدين في تفسير القرآن الكريم صدر بطريقة ميسّرة بغية تسهيل فهمه بعيداً عن معاضلات المفسرين القدامى والمحدثين، وهو أمر يحتاج إليه الجيل الراهن. تولّت نشره (دار بساتين المعرفة) في بغداد.

المجلد الأول منه الذي غطى تفسير القرآن الكريم من الجزء الأول إلى الجزء السابع منه أما المجلد الثاني فقد غطى بالتفسير من الجزء الثامن إلى الجزء السادس عشر. وما زالت الأجزاء الأخرى في طريقها للطبع.

إنّ تيسير التفسير لكتاب الله تعالى أمر غاية في الأهمية ميسّراً في معناه ومبناه وعميقاً في مغزاه وواسعاً في دلالاته كما يقول المؤلف ((فهل من مذّكر، أي متذكر، ومعنى الميسّر غير معنى المختصر، أي تفهّم معنى الآية الكريمة بشكل عام والتركيز على المهم وبإسلوب حيوي سهل الفهم، ومن دون تطويل ممل ولا اختصار غير مستوف، إنه الفهم الحيوي

للقرآن يبعث الحيوية والحياة في النفوس والذي يشرح الصدور ويطمئن القلوب، الذي يعتمد على خير الكلام ما قلّ ودلّ ولا يمل ولا يبتعد عن القصد، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٥]، بهذه العبارات بيّن المؤلف الفاضل مكي البغدادي الغاية في تأليف كتابه والهدف من نشره بين الناس والذي يقع في أكثر من مجلد، صدر مجلدان منه ابتداء كما ذكرنا والبقية ستأتي لاحقاً عند توفر الظروف للباحث الكريم في مواصلة اصدارها ليتم مشروعه التفسيري لكتاب الله العزيز.

الجزء الأول الذي يبدؤه بسورة الفاتحة ويختمه بسورة الأنعام، وقد استغرق هذا الجزء ٥٤٦ صفحة، افتتحه بمقدمة ضافية عن عمله في هذا الكتاب نلخص منها هذه العبارات: بعد البسملة والحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وخلق المخلوقات ناطقة بحمده وشكره وسبباً لمزيد فضله ودليلاً على آلائه وعظمته... والحمد لله الذي أنزل القرآن بالحق ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[سورة الاسراء: ١٠٥] وجعله ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[سورة النحل: ٨٩]، ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[سورة يوسف: ١١١]، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[سورة الكهف: ٥٤]، وجعله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، ومنهجاً إنموذجياً للعالمين، ودستوراً هادياً للبشرية اجمعين ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [سورة المائدة: ١٦].

والحمد لله الذي جعل القرآن العظيم تلخصه كلمة واحدة (الهداية) بقوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢]. الهداية الخاصة للإنسان الخاص (انسان النخبة، والقرآن كتاب هداية ودراية لكافة البشر وهو خير ذخر لاستقرار النفوس، والهداية ارقى درجات العلوم فهي نعمة النعم وقمة القمم وهنا يحسن الاستبصار. انزل الله القرآن من اجل أن يتدبره الناس ويتفكّروا فيه فهو يهدف إلى برمجة الحياة الإنسانيه على أسس قرآنية متألقة قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٠].

الحمد لله: الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وخلق المخلوقات ناطقةً بحمده وشكره،

وسبباً لمزيد فضله وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين الذي اشتق اسمه من اسمه (المحمود) وعلى آله الطيبين الطاهرين أولي المكارم والعلوم والجود.

* * *

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[سورة مريم: ٧٥].

عن الإمام علي عليه السلام (إنه ليس لهالك هلكَ من يعذره في تعمد ضلالة حسبها هُدىً، ولا ترك حقٍّ حسبه ضلالة) البحار ٥٩٠ ص ٣٠٥.

وإن الله تعالى أمر بطاعته، و أعان عليها، ولم يجعل في تركها عذراً، ونهى عن المعصية، و أغنى عنها، ولم يجعل في ركوبها عذرا!!.

لذلك يصرّح القرآن فيقول ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾[سورة يونس: ١٠٨].

والقرآن الكريم: كتاب للتدبّر و التفكّر و التذكّر، فهو كتاب مبارك على من تدبره وعلّمه وهداه، وظهر أثره في أخلاقه و أعماله، وإلّا فكم من قارئ للقرآن، والقرآن يلعنه، كقوله:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[سورة ص: ٢٩].

عن النبي صلى الله عليه وآله (من أراد عِلمَ الأولين و الآخرين فليثوّر القرآن) كنز العمال خبر ٢٤٥٤.

يثوّر: يتعمّق و يتدبّر ويتأمّل بتلك المعجزة الخالدة التي تواكب تطوّر الزمان وحداثة الإنسان.

منهجية البحث العلمي في كتاب (وَعْيُ القُرآنِ المُيسَّر) كما رسمها المؤلف في كتابه.

يعتمد البحث القرآني العلمي على أربعة أسس مهمة:

١. يعتمد المنهج العالمي للقرآن: بوصف قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة التكوير: ٢٧]، فالقرآن الكريم خاتم الكتب السماويه، والنبي الكريم خاتم الرسل، فلا بد لهذه الخاتمية للرسول وللرسالة من تكامل يتناسب مع كل زمان و مكان ومع كل جيل ليكون القرآن حجة الله البالغة على الناس، لقوله تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

﴿وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥].

في غرر الحكم (يا أيها الناس!. انه لم يكن الله سبحانه حجة في الأرض أوكد من نبيّنا محمدﷺ ولا حكمة أبلغ من كتابه).

- فإذا كان ربنا سبحانه ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٢]، ونبيّنا محمدﷺ رحمة للعالمين كقوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، والقرآن دستور حياتنا ومنهج سعادتنا، ويعتمد المنظومة العالمية للناس كافة كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ١].

فصار المرسل والرسول والرسالة كلها عالمية، فلماذا نحن نعيش المذهبية؟!.

إذا: علينا أن يكون فهمنا للقرآن عالمياً، ووعينا له عالمياً، وتعاملنا معه عالمياً، وتوصيل بلاغه إلى كل الناس بصورة عالمية، مدروسة مشوّقة، يقبله الإنسان السليم المفكّر في جميع أنحاء العالم.

***

٢. اعتمد الثقلين في منهجية البحث القرآني: يقول النبيﷺ (إني قد تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تَضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض (الثقل الأكبر)، وعترتي أهل بيتي، ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) كنز العمال خبر ١٦٦٧، وعن النبيﷺ (حبنا أهل البيت نظام الدين) البحار ج٧٨ ص ١٨٣.

عن الإمام الرضاؑ (إن الإمامة زمام الدّين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين) الكافي ج١ ص٢٠٠.

***

٣. اعتمد المنهج الحيوي لفهم القرآن:

ومعنى المنهج الحيوي: أي المنهج الذي يبعث للقارئ الحياة، وتنمية الحياة، واستمرار الحياة.

في غرر الحكم ودرر الكلم (اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة).

إنه منهج معاصر يشوّقك للقراءة و استمرار القراءة والتمتع بها، إنه منهج يشدّك للفهم ويرغبك بالعلم، إنه منهج قرآني حديث يسهّل لك الصعب، ويبعث على التطلّع ويجمع لك البحوث المتنوعة لكل آية في مكانها المناسب، فيجمع لك فهم الآيه مدعومة بالآيات القرآنية الأخرى المرتبطة بها، فيكون التفسير القرآني للقرآن، وهو أرقى أنواع التفاسير، مع دعمها بالحديث النبوي الشريف الصحيح، الذي لا يتعارض مع القرآن. فكان اختيار الحديث لتدعيم معنى الآيه لتقوية البحث وجماليته ومتانته المناسبة، ويسلّط الفوائد الملائمة والداعمة للبحث. ثم أن المنهج الحيوي للقرآن يعطيك حيوية الأدب العربي، وجمالية البلاغة العربية الذي يستمتع القارئ الكريم في قراءة الفكر القرآني الجليل، بأساليب أدبية فنية جمالية تحرّك المشاعر و تحيي الضمائر و تدخل في النفوس بلا استئذان منها!!.

فانك تقرأ مفاهيم الآيه الكريمة وكانما تقرا مقالة صحفيّة باسلوب صحفي جديد ومفيد مطعمة بالآيات الداعمة والأحاديث الرافدة.

وطبيعة المنهج الحيوي و أسسه من قواعد المنهج الأدب العربي، فقلت في نفسي لماذا لا نجعل المنهج الحيوي في الأدب العربي، في التفسير القرآني المعاصر؟!.

فهي محاولة جادة حديثة لتحريك مفاهيم النص القرآني الجليل في النفوس المتلقيّة.

* * *

٤. اعتمد التقريب بين المذاهب ووحدة الصف والكلمة على أسس كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة فهو منهج يبشّر ولا ينفّر، يحبب ولا يكرّه، يقرّب ولا يفرّق، يجمعنا (الإسلام) ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[سورة الروم: ٣٠].

فهو أعلى قيمة في حياة الإنسان لأنه يهدي الى الصراط المستقيم، صراط الله كقوله ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٠١].

و القرآن ذو القيمة الكبرى، وذو الهيمنة العظمى على مابين يديه من الكتب السماوية،

فهو له الولاية والسيطرة والقدرة العلمية عليها، وله الهيمنة والولاية والقدرة على جميع الكتب والنظريات التي تنتهجها البشرية كالنظرية الرأسمالية والنظرية الاشتراكية وجميع النظريات الأخرى فهو مهيمن عليها كقوله ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائده: ٤٨].

دين الله تعالى لا يقبل التجزئة ولا يدعو الى التعدد والتفرّق.

كقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩].

وقوله ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

عن الإمام علي عليه السلام (إيّاكم والتلوّن في دين الله فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد المعتزلي ج١٠ ص٣٣.

* * *

يكشف (الكتاب) لنا سنن الله الكونية وسننه الإنسانية والغيبية والعلاقة المتبادلة بينهما، وعلى ضوء هذه السنن والقوانين تسير الحياة والأحياء في الدنيا، وعلى ضوئها يحصل الحساب و الجزاء والثواب.

والعقاب في العالم الغيبي الآخر. فعلينا أن نحرص على فهم القرآن الكريم لنفهم منه حركة هذه السنن و القوانين التي تنفعنا في الدنيا والآخره.

والقرآن الكتاب الوحيد الذي يتحدّث عنها، حتى نسير معها بشكل متواز غير متعارض ونكسب خيرها و قدرها، ونتجنب قهرها و معارضتها.

* * *

ويركّز المؤلف في كتابه على مسألة مهمة وهي:

أن القرآن أفق واسع والإنسان قدرته محدوده فكيف يحيط الإنسان المحدود بكلام الخالق الواسع المطلق وهو (القرآن الكريم). قال تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ

﴿ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[سورة الكهف: ١٠٩].

سعة كلام القرآن غير محدودة (لا تنفذ خزائنه ولا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه) لسعة ذات الله المطلقة غير المحدودة، وعلمه غير متناهٍ، وكلامه مظهر لعلمه وكلها مطلقة، فكيف ينبغي أن يتعامل الإنسان المحدود (ولو كان عالماً) مع القرآن المعجزة المطلق؟!.

يسّلط الكتاب (وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر) من خلال عرض شرحه للآية فيبين إلتفاتة رئيسة وهي:

إن الله لا يكشف أسرار كتابه إلا لمن أصدق معه وأحسن حمله وعلم كيف يستنطقه، عن الإمام علي﵇ (ذلك القرآن فاستنطقوه، فإنه حامل لمن حمله، وناطق لمن استنطقه)!.

فالذي يستطيع أن يستنطقه هو الذي يحمله، فالذي يحمله هو الذي يستنطقه، والذي يستنطقه هو الذي كان يحمله. لذلك كنت حريصاً على الفهم القرآني المُيَسَّر للقرآن الكريم محاولاً حمل القرآن بأمانة واستنطاقة بالعلم ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[سورة الجاثية: ٢٩].

***

ويقول المؤلف: عندما فكّرت أن أكتب (وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر) أحسست في نفسي بأني صغير صغير أمام دستور رباني كبير كبير، خلاصة رسالات الأنبياء﵈ وهو ثقل السماء وكنزها في الأرض، دستور اعجازي (ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلّا به) ولكنه دستور نزل لينقذ الإنسان من حيرة الضلالة ويخلّصه من ظلمات الجهالة، فتوكلت على الله ليهديني للتي هي أقوم، على فهم كتابه و إدراك معانيه والإحاطة بايحاءاته، وتشخيص مقاصده و أهدافه بحيث نتعلم منه ولا نعلمه وندعوه سبحانه أن يجعل لنا الى كل خير سبيلاً، ومن كل ما لا يحب مانعاً.

ويجنبنا اللهم كل مالا يليق بالقرآن، ويبعث على التطويل و الملل، و يبتعد عن القصد.

***

السبب في تأليف الكتاب:

كان الشهيد محمد باقر الصدر﵀ يقول لبعض طلابه إنّ الأمة الإسلامية بحاجة الى تفسير عصري للقرآن الكريم وبأساليب حديثه وبمنهجيه فعّالة مُيَسَّرة، لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [سورة القمر: ٣٢].

معنى مدّكِرٌ: أي متذكّر ومعتبر، فالامة الإسلامية عامة بحاجة إلى فهم القرآن بطريقة مُيسَّرة ناهضة في معناه ومبناه ومغزاه وجميلاً في اسلوبه، كقوله ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]، في غرر الحكم (أحسن الكلام: ما زانه حُسنُ النظام وفهمه الخاص والعام).

وعلى ذلك كان الكتاب ذا موضوعية و اعتدال، يُعنى بالمعنى المهم للنص، سهل الفهم ذا حيوية في الطرح وانسيابية في التعبير وبعيداً عن الغموض والتطرّف ولا يخرج عن الاعتدال والوسطية، و يعتمد الدلالة العقلية والدراية النقلية والحركية الواقعية الصحيحة، التي تنسجم مع حركة النص ولا تتعارض مع النصوص القرآنية الأخرى.

هذا هو المنهج الوسطي للفهم الحيوي للقرآن، كقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

منهج قرآني حيوي لا هو بسيط فيكون للبسطاء ولا ينفع العلماء، ولا هو معقّد صعب الفهم فيكون خاصاً بالعلماء و الباحثين، ولا هو طويل فيمل، ولا قصير لم يستوفِ، إنه طرح العلوم القرآنية بأساليب مُيَسّرة تتناسب مع الجماهير الاجتماعية العامة بكافة اختصاصاتها.

الذي أخذ الشغل وقتها لتحصيل المعاش، فإنها لم يتح لها الفرصة للإطّلاع على التفاسير الموسوعية الكبيرة والكثيرة للقرآن الكريم، التي كتبت للنخب ولم تكتب للعوام، وعادة الشخصيات النخبوية قليلة ومحدودة، فاصبحت هذه الموسوعات القرآنية بمثابة بنك المعلومات القرآنية خاصة التداول للعلماء والباحثين المميزين، ولم تنتفع الأمة

الإسلامية منها على عموم مستوياتها و قابلياتها!!.

فكان (وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر) يعالج هذه المشكلة، هذا هو مشروعنا القرآني الحيوي الجديد والمفيد وهو السهل الممتنع الذي يعتمد تدبّر القرآن الكريم بعلم، بالاستعانه بآيات القرآن الكريم الأخرى والأحاديث الشريفة الداعمة، المعتمدة على رعاية الرواية ووعايتها ودلائل قوّتها.

عن النبيﷺ (لا عيش في الدنيا الا لرجلين، عالم ناطق ومتعلّم واع) بحار الأنوار ج٧٧ ص ١٧٢.

لأن تدبّر القرآن الكريم يفتح القلوب وتحيا النفوس وتتيقّض المشاعر و تتنشّط الضمائر و يزداد الوعي معرفة مقاصد القرآن وأسراره، وبعدم التدبّر وبعدم التذوّق لحلاوة الوعي يقفل القلب ويضل ويعمى (وأشرُّ العمى عمى القلب) كقوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[سورة محمد: ٢٤].

وعن النبيﷺ (ليس القرآن بالتلاوة ولا العلم بالرواية ولكن القرآن بالهداية والعلم بالدراية) كنز العمال خبر ٢٤٦٢

وعنهﷺ (أفلح من جعل الله له قلبا واعيا) يقظاً مميزاً مدركاً.

وقد دعم المؤلف مشروعه القرآني بالإشارات العلمية والفوائد التوعوية النافعة في محلّها المناسب. تناول شرح جميع آيات القرآن الكريم بحسب تسلسل السور في المصحف الشريف، مع ذكر اللقطات الاعجازية الحديثة في القرآن بالقدر المناسب، ومحاولة ربط الواقع مع حركة النص و إيحاءاته بالقدر الممكن. فإن القرآن لا يُفهم حق الفهم إلّا من خلال منطلقاته العلمية المرتبطة بحركة الواقع، لأنه نزل تدريجياً من خلال حركة الواقع كقوله ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[سورة الكهف: ٥٤].

***

يقول المؤلف:

لقد كتبنا (وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر) بقدرنا لا بقدره، وبمحتوانا لا بمحتواه، كتبناه بقدر ما

يعلّمنا الله، كقوله ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[سورة المجادلة: ١١].

في غرر الحكم (اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة).

وكتبناه بقدر ما يفتح الله علينا و توفيقه لنا، كقوله ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[سورة هود: ٨٨].

كتبناه ونحن في خدمته، ونخلص ديننا لله تعالى، فإن الله لا يقبل الأعمال إلّا ما خَلَصَ منها كقوله ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[سورة الزمر: ٣].

عن النبيﷺ (العلماء كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر) تنبيه الخواطر ص ٣٥٨.

وقد اتبع المؤلف الفاضل طريقة سهلة في كتابه بحيث يسهل الرجوع إليها في كل آية، من كل سورة عند الحاجة إليها، لوجود أرقام السور والآيات و الأجزاء في الهامش العلوي لكل صفحة، مع استقلالية كل آية برقمها وتفسيرها.

***

معنى (وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر) وهنا يوضحه المؤلف ويتوسع في المعنى والمدلول فيقول:

معنى (وعي) يقال وعى القرآن: أي حفظه واستوعب معانيه وأهدافه وفهم مقاصدة، وأدرك إيحاءاته، ومن معاني الوعي التدبّر في آيات القرآن و تفهّم مبناه و استيعاب معناه و الإلمام بمغزاه و الإحاطة بدلالاته الصحيحة.

وجمع مفاهيمه وحفظ علومه وعدم الغفلة عنها والحرص على العمل بها، فنسعى جاهدين أن يكون (خُلُقُنا القرآن) وإن الله يكرم القلب الذي يعي القرآن، كقوله ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾[سورة الحاقة: ١٢].

معنى (القرآن) تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله، لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كقوله ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[سورة يوسف: ١١١] وقوله ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[سورة النحل: ٨٩].

عن النبي ﷺ (إقرأوا القرآن واستظهروه (احفظوه) فإن الله لا يُعذّبُ قلباً وعا القرآن).

معنى (مُيَسّر) بمعنى سهل الفهم، حيوي التعبير، يبعث الحياة الواعية في النفوس، وتنشرح له الصدور السليمة، وتطمئن له القلوب العليمة المفكّرة، مريح للعقل، خفيف على المشاعر، ومنفتح على العلوم، و ينقلك إلى ما وراء الآفاق فهو عالي المضامين، كقوله ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الدخان: ٥٨].

فيكون معنى (يَسَّرناه).

أي سهّلنا معاني وتعابير و مصطلحات آيات القرآن للناس كافة، تيسيراً بلا تبسيط، ويسّرناه وشوّقناه بلا اختصار ولا تطويل وتوسيع، وبلا سطحية وبلا غموض.

ولو كان القرآن نصاً سهلا بكامله لكان بسيطا وسطحياً وبعيداً عن العمق، وليس فيه (تفصيل كل شئ) وليس فيه (تبيان لكل شئ) ولا يكون حجة على الناس كافة، ولكان خاصا للبسطاء ولا ينتفع منه العلماء.

ولو كان القرآن صعباً بكامله لكان لغزاً مبهما وخاصا للعلماء والباحثين وأصحاب الاختصاص، ولكان محدوداً لمستوى معيّن ومميز من الناس، حينئذ لم يحقق القرآن أهدافه الساميه لهداية الناس.

كقوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[سورة الإسراء: ٩].

ولكن الله تعالى ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾[سورة النساء: ١٦٦]، أنزله جامعاً مانعاً، وحاوياً لبلاغة عالية المضامين، تجمع بين المحكم والمتشابه، تجمع بين التيسير والتعميق، فكان القرآن بين المعنى الظاهر الواضح (المحكم) وبين المعنى العميق الدقيق الواسع (المتشابه) فكان القرآن الكريم مُيَسَّراً شفافاً مؤثراً سهل الفهم بعيداً عن البساطه، واضحاً بعيداً عن التعقيد، عميقا بعيداً عن السطحية، دقيقا بعيداً عن الغموض، مُيَسَّراً رقيقاً بعيداً عن العسرة، شاملا بعيداً عن التقييد.

استطاع المؤلف أن يكون كتابه مُيَسَّرا بطريقة إعجازية إنموذجية متعادلة ومتوازنة وفريدة عالية المضامين تجمع بين الفهم الظاهري الواضح الرقيق، والفهم الشمولي

الاستدلالي الدقيق، والعلم العملي العميق والأساسي، الذي يستوعب كل زمان ومكان، ويتناسب مع كل انسان عاقل سليم الفكر، ويتناسب مع كل تطوّر وتقدم وحداثة.

ومن هنا يتبيّن أن القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[سورة النساء: ٨٢].

ويكون (القرآن ميزان دقيق: فمن وفّى، استوفى)!.

كقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٥٧].

عن النبي ﷺ (القرآن مأدبة الله فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم) البحار الأنوار ج٩٢ ص١٩.

إنه مادبة عقل وفكر، ومأدبة علم وفهم وحكمة وخُلق، وليس مأدبة معدة.

* * *

المؤلف يورد بعض النماذج لتفسيره:

١. قوله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩].

معنى الدّين: الطاعة والخضوع و التسليم لأمر الله وتصديق أنبيائه، كقوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[سورة النساء: ١٢٥]، معنى الإسلام: بهذه السعة بالدلالة فهو يشمل جميع الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام وإن اختلفت في بعض التكاليف، ولكنها تتّفق مع التوحيد الخالي من شوائب الشرك، وتتفق مع الإيمان والعمل الصالح في أية ملة كان، وهذا أن دين محمد ﷺ ينطوي على كل الأديان السماوية وزيادة تكاملية. قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

عن الامام علي عليه السلام (الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل) الكافي ج٢ ص ٤٨.

* * *

٢. قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[سورة البقرة: ٣].

الذين يصدّقون بما غاب وخفي عن العباد ولم تدركه حواسهم من عالم الغيب ويوم القيامة، والإيمان بوجود الله والجنة والنار... مما لا ينكره العقل السليم، أما ما يرفضه العقل السليم فلا يسمى غيبا بل انحرافات وخرافات وسخافات وشعوذة. والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان المؤمن فتتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الواعي الذي يدرك أن هذا الوجود أكبر من ظاهره المشهود، كقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٩].

في غرر الحكم ودرر الكلام (أصل الإيمان حُسْنُ التسليم لأمر الله).

والغيب: ما غاب عن الحس وخفي عن علم العباد، وهو قسمان: غيب غاب عنك، وغيب غبت عنه، فالذي غاب عنك عالم الأرواح وهو معك، أما الذي غبت عنه بالوجود وهو الله تعالى، كقوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد: ٤]، فهو قريب منك وأنت لا تشعر، كقوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[سورة ق: ١٦].

***

٣. قوله تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[سورة النساء: ٣٤].

قوّامون: مبالغة قيام في أداء المسؤولية الزوجية والأسرة، وزيادة الرعاية والحماية والعناية بالواجبات وحفظ الحقوق، كقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[سورة البقرة: ٢٥٥]، من فعل قيام، اي يقوم الزوج بواجبه تجاه زوجته وأولاده باستمرار، بلا قصور ولا تقصير وضمن حدود القدرة والاستطاعة، قيام الراعي على الرعية، وإلزام الزوجة بحقوق الله تعالى.

والقِوامة خاصة في الحياة الزوجية وليست عامة، من أجل تنظيم الأسرة وتحديد الحقوق والواجبات، وحفظها وحمايتها من الخلافات والنزاعات وصيانتها من التفكيك، وحمايتها بدوام الترابط على أساس المودة والرحمة. والقِوامة (القيادة) ضرورة حياتية في

عالم الأسرة، وفي القضاء والحرب... إلخ.

لابد أن يكلف بها الأصلح وليست هي قضية منافسة بين الرجل والمرأة، وتبين الآية أن الأصلح للقِوامة (والرئاسة) هو الرجل (الزوج) الكفء، وهو ينسجم مع معطيات الفطرة الإنسانية، وطبيعة المرأة توافق ذلك (بشرط) أن يكون الرجل كفوءاً في قِوامتِهِ.

* * *

٤. قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[سورة آل عمران: ١٠٢].

إرشاد قرآني بليغ وبالغ الأهمية، خاضع لحكم العقل و استطاعة النفس بطاعة الله تعالى الخالق المنعم الوحيد على الكون و الكائنات، ليكون الإنسان سيد الكون والكائنات، ويكون أفضل من الملائكة المقربين، عليه أن يتّقي الله في السّر والعلانية، وهو هدف الخالق من خلقه (فمن اتقى الله وقاه). في غرر الحكم ودرر الكلم (التقوى: منتهى رضا الله من عباده وحاجته من خلقه) (اتقوا الله) كل بحسب قدرته و طاقته، ولكن المطلوب و المرغوب أن (اتقوا الله حق تقاته) أعلى درجات التقوى، لأن التقوى على قدر الإيمان والعلم والتقوى: تجعل الإنسان يتطلّع الى أفق أبعد، فيجهد نفسه للتعرّف عليه، وكلّما سعى ليكتشفه تكشّفت له أشواق و آفاق أرفع مما بلغ، وأجمل مما قصد، فيكون قلبه متيقّضاً فلا يغفُل، متّقياً فلا يضل، فبالغوا واحرصوا على تقوى الله كقوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦].

* * *

٥. قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[سورة البقرة: ١٦٥].

نظرية الحب في القرآن الكريم: جاء حبّ المؤمنين لله على درجة (أشدّ) وهو مبالغة الحبّ، وأعظم الحب وأصدقه، فهو تعبير جميل و جليل و شفاف وينفذ في المشاعر، لأنه نابع من الصدق والإيمان والعلم، فتكون الصله بين المؤمن وبين الله تعالى على أساس أشدّ الحب، وأقرب القرب، وأكثر الجذب، حبّ التآلف و التعاطف والترابط والتذوّق

لطعم الحب، حبّ الموازنة الكبرى مع كل حب، إنه حبّ المقياس مع من تحب وكيف تحب ولماذا تحب؟. فحبّ الله يبقى هو الأشد في كل حالات الموازنة، ويبقى حبّ الله هو المقياس والمعيار الصحيح لكل حب، إنّ المؤمنين الصالحين لا يحبون شيئا كحبهم لله عزوجل، يحبون الله بدرجة (أشد) أعلى درجات الحب، ويحبون ما دونه حباً شديداً وليس أشد!.

- في نهج البلاغه خطبة ١٩٣ (عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم)!.
- عن الإمام علي عليه السلام (بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته، وبآياته احتج على خلقه) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ج٣ ص٤٥.

لا يحبون أنفسهم ولا أموالهم ولا زوجاتهم ولا مساكنهم ولا أولادهم ولا تجارتهم... إلخ، لا يحبونها الحبّ الأشد، ولكنهم حبهم لله يكون فقط بدرجة أشدّ!.

فيكون هو المقياس لكل حبّ، و هكذا نتعلم أن (الحب في الله والبغض في الله، هو الإيمان الصحيح، والحبّ الصحيح والبغض الصحيح وهو المقياس الصحيح لكل حبّ وكراهية، عن النبي صلى الله عليه وآله (أفضل الأعمال: الحب في الله و البغض في الله تعالى) كنز العمال خبر ٢٤٦٣٨.

وعنه صلى الله عليه وآله (الحب في الله فريضة، والبغض في الله فريضة) كنز العمال خبر ٢٤٦٨٨.

فعلينا أن نحبّ ما يحبه الله، ونبغض ما يبغضه الله، فيكون (حبّ الله) هو الميزان لكل حبّ، ونعم الميزان لكل حب و بغض، بل هو من أفضل الأعمال، وحتّى لا يكون الحبّ على المزاج وتقوده الشهوة، و يتراسه الهوى وحبّ الأنا وحب الدنيا، عن النبي صلى الله عليه وآله (ما تحابّ إثنان في الله تعالى إلّا كان أفضلُهما أشدّ حُباً لصاحبه) كنز العمال خبر ٢٤٦٤٨.

٦. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[سورة المائدة: ٣٥].

معنى الوسيلة: هو التوصل و التقرّب الى الله تعالى باتخاذ الأساليب المناسبة لطاعته،

و حقيقة الوسيلة الى الله تعالى بمراعاة سبيله و منهجه بالعلم و العبادة ومكارم الأخلاق، لأن أقوى رابط بين العبد و ربه بالدعاء، و تضرع العبد إلى ربه بعبادة يرضاها ربه عز وجل.

و الوسيلة كالقربة الى الله وكشعائر الله ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [سورة الحج: ٣٢].

جاء خطاب الآية للذين آمنوا خصوصا و ليس لغيرهم، ثم طلب منهم المزيد أن (اتقوا الله) كقوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن: ١٦]، التقوى: الورع عن محارم الله. كقوله ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٣٤]، في غرر الحكم (التقوى: حصن حصين لمن لجأ اليه) ثم قال (وابتغوا اليه) الى الله سبحانه بالتحديد (الوسيلة) على إطلاق معناها، هي الإخلاص لله والعمل الصالح، ثم حدد مبناها ومقصدها بثلاثة شروط في السياق القرآني الدقيق:

١. الايمان (يا أيها الذين آمنوا) و زيادة على الإيمان طلب منهم.
٢. (اتقوا الله) ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة البقرة: ١٩٤]، ثم بعد التقوى قال.
٣. (وابتغوا اليه) اي اطلبوا إلى الله الحاجة و الوسيلة حصرا لا الى غيره عزوجل، ثم ذكر (الوسيلة) فصارت الوسيلة رخصة مقيّدة بثلاثة قيود متصلة غير منفصلة، وأعطى أنموذجاً مميزاً عن الوسيلة التي تقرّب إلى الله فقال ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ فلا جهاد من دون سبيل الله..